مجلة أرابخا للدراسات التاريخية والآثارية والأنثروبولوجية
العدد الأول/ المجلد الأول حزيران ٢٠٢٦
IRAQI Academic Scientific Journals

معلومات الباحث

الباحث الاول

الاسم: م.د. ياسر احمد محمد

الجامعة : كركوك

الكلية: التربية للعلوم الانسانية

القسم: التاريخ

البلد: العراق

البريد الالكتروني:
yaserahmed@uokirkuk.edu.iq

الهاتف: ٠٧٧٠٧٥٦٩٠٣٠

الباحث الثاني

الاسم :

الجامعة :

الكلية:

القسم:

البلد:

البريد الالكتروني:

الهاتف:

تاريخ الاستلام:٢٠٢٥/٨/٢٧

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٩/٢٩

تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٠٥/٢٦

الكلمات المفتاحية: (المرابطين – القشتاليين – طليطلة – الصراع – الحملات العسكرية)

عنوان البحث

الصراع بين دولة المرابطين ومملكة قشتالة على طليطلة (٥٠٠ _ ٥٤٢ هـ/١١٠٦_ ١١٥٧م) دراسة مقارنة بين مدونة الفونسو السابع والمصادر الإسلامية والإسبانية

ملخص البحث

تناول البحث مرحلة مهمة من مراحل الصراع على طليطلة ، بين دولة المرابطين ومملكة قشتالة في المدة (٥٠٠ –٥٤٢ هـ/ ١١٠٦ . ١١٥٧م)، فاستمرت محاولات المرابطين لاستعادة طليطلة ، لمكانتها، وأهميتها ، وموقعها الجغرافي ، فهي قلب الأندلس، وقاعدة الثغر الأوسط، كما اتخذها النصارى قاعدة لتجمع جيوشهم، وغزو المدن الأندلسية، وتهديد الوجود العربي الإسلامي في الأندلس، وتأتي أهمية دراستنا هذه باستخدامها مصادر طرفي النزاع، و مقارنتها، ثم تحليلها.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة كركوك – كلية التربية الاساسية

IRAQI Academic Scientific Journals
Journal of ARAPKHA for Historical, Archaeological and Anthropological Studies
Number (1)/ Volume (1) May 2026

Researcher Information

First Researcher
Name: Dr. Yasser Ahmed Mohammed
University: Kirkuk
College: Education for Human Sciences
Department: History
Country: Iraq
Email: yaserahmed@uokirkuk.edu.iq
Phone: 07707569030

Second Researcher
Name:
University:
College:
Department:
Country:
Email:
Phone:

Receipt Date: 27/ August / 2025
Acceptance Date: 30/ September / 2025
Publication Date: 26/ May / 2026

Keywords: (Almoravids – Castilians – Toledo – conflict - military campaigns)

Ministry of Higher Education and Scientific Research - University of Kirkuk - College of Basic Education

The Title

The Conflict Between the Almoravid and the Kingdom of Castile Over Toledo (500-542 AH / 1106-1157 AD) A Comparative Study of the Codex of Alfonso VII and Islamic and Spanish Sources

Abstract

This research addresses an important phase of the conflict over Toledo, between the Almoravid State and the Kingdom of Castile during the period (500-542 AH / 1106-1157 AD). The Almoravids continued their attempts to recapture Toledo, given its stature, importance, and geographical location. It was the heart of Andalusia and the base of the central border. The Christians also used it as a base for assembling their armies, invading Andalusian cities, and threatening the Arab-Islamic presence in Andalusia. The importance of this study lies in its use of sources from both sides of the conflict, comparing them, and then analyzing them.

المقدمة

تناول البحث مرحلة مهمة من مراحل الصراع، بين دولة المرابطين ومملكة قشتالة، في المدة **(٥٠٠ ــ ٥٤٢ هـ/١١٠٦ ــ ١١٥٧ م)**، إذ حاول المرابطون في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين**(٥٠٠- ٥٣٧ هـ/ ١١٠٦ - ١١٤٢ م)**، وولده تاشفين **(٥٣٧- ٥٣٩ هـ/ ١١٤٢ــ١١٤٤م)**، استعادة مدينة طليطلة، التي استردها الفونسو السادس **(٤٥٧ ــ ٥٠٢ هـ/ ١٠٦٥ ــ ١١٠٩ م)** ، في محرم من سنة **(٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م)**، فتوالت محاولات المرابطين لاستعادة المدينة، التي اصبحت قاعدة تنطلق منها حملات الاسترداد المسيحي ، فكانت طليطلة محور الصراع بينهما، ومن خلال الصراع تعرفنا على التكتيك الحربي للمرابطين و القشتاليين، وخط سير الحملات القشتالية إلى الأراضي الأندلسية.

وتقع الدراسة هذه وفق ما تقتضيه الضرورة المنهجية في أربعة مباحث، توسم الأول تحت عنوان: **((نشاط حركة الجهاد الإسلامي لاستعادة طليطلة))**، اذ لم يتوانا المرابطون في الجهاد، فشنوا عدة حملات على أراضي طليطلة، بهدف استعادتها، فنجحوا في استعادة بعض المدن والحصون المحيطة بها. بينما حمل المبحث الثاني عنوانا: **((تحالف المستنصر بالله بن هود مع الفونسو السابع))**، ففي سنة ٥٢٥ هـ / ١١٣١م دخل أبو جعفر احمد المستنصر بالله **(٥٣٠ ــ٥٤١ هـ/ ١١٣٦ــ ١١٤٦م)**، والمعروف في المدونة الإمبراطورية، باسم سيف الدولة، في تبيعة الفونسو السابع. كما جاء المبحث الثالث بعنوان: **((تتويج الفونسو السابع ملك قشتالة وليون إمبراطورا واثر ذلك على الصراع))**، بعد أن فرض الفونسو السابع سيادته على إسبانيا النصرانية، واتساع أراضيه، وامتداد حدود مملكته، اعترف بسيادته كل من ملك نبرة غراسية رأميرث **(٥٢٨ ــ ٥٤٥هـ /١١٣٤ ــ١١٥٠ م)**، وقمط برشلونة الكونت رامون برنجير الرابع **(٥٢٥ ــ ٥٥٢ هـ/١١٣١ــ١١٦٢ م)**، وقمط تولوز الفونسو خوردان ، والمستنصر بالله، وكثيراً من نبلاء جسقونية، وفرنسا، فتوج الفونسو إمبراطوراً بعد أن عقد مجلس في كنيسة القديسة مريم بمدينة ليون في شعبان سنة **٥٢٩ هـ/٢ ــ يونيو ١١٣٥** م. وأخيراً جاء المبحث الرابع بعنوان: **((تعيين ابن غانية واليا على الأندلس لمواجهة الحملات العسكرية القشتالية))**، حقق والي الأندلس الجديد بعض الانتصارات، إلّا أنَّ الظروف التي المت بدولة المرابطين كانت صعبة. ثم جاءت خاتمة البحث بأهم ما توصلنا إليها من نتائج. وأخيراً اردفا البحث بقائمة المصادر والمراجع، ولابد من عرض وتحليل اهم تلك المصادر، وتأتي في مقدمتها مدونة الفونسو السابع والتي تعرف أيضاً

بالمدونة الإمبراطورية، فكانت المحور الأساس الذي اعتمدنا عليه في دراستنا المقارنة. دونها مؤلف مجهول في اللغة اللاتينية في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، تناول فيها عهد الملك الفونسو السابع (الإمبراطور) في كتابين.

أما عن كاتب المدونة فقد اختلفت آراء المؤرخين في المؤلف المجهول للمدونة الإمبراطورية، فيبدو أنه كان معاصراً لحكم الفونسو السابع، ويستدل من الأسلوب الذي كتبت به المدونة أنَّ المؤلف كان رجل دين، من اصل فرنسي، وقد يكون احد الرهبان الكلونيين الذين ذهبوا إلى الأندلس.

دونت المدونة في سبع مخطوطات مختلفة الشكل، وهي محفوظة في المكتبة القومية بمدريد، وفي مكتبة الكاتدرائية بطليطلة، والأصل مفقود.

المبحث الأول : نشاط حركة الجهاد الإسلامي لاستعادة طليطلة

نشطت حركة الجهاد الإسلامي، واستمرت محاولات المرابطين لاستعادة طليطلة، فقاموا بمحاصرتها اكثر من مرة، ويرجع ذلك إلى السمة الجهادية لدولة المرابطين، ولمكانة طليطلة التاريخية والحضارية والجغرافية، زيادة على ذلك ما وقع في إسبانيا النصرانية ـ عقب وفاة الفونسو السادس سنة (٥٠٢ هـ/١١٠٩م)، دون وريث ذكر، وقيام ابنته اوركا على العرش ـ من حروب أهلية على السلطة بين اوركا، وزوجها الفونسو المحارب ملك ارغون من جهة، وبين أشراف جليقية انصار ولدها الفونسو ريموندیس (الفونسو السابع) من جهة أخرى. (اشباخ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، صفحة ١/ ١٧٩ ، ١٨٠) (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، صفحة ٣/ ٧٣).

فتوالت الغارات الحدودية بين المرابطين والقشتاليين، إلى أن عبر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة (٥٠٢ هـ/١١٠٩ م)، فقاد حملة على طلبيرة، ونجح في الاستلاء عليها (القطان، ١٩٩٠م، الصفحات ٦٩ – ٧٠). ثم قاد محمد بن مزدلي[1](ت٥٠٨هـ/١١١٥) (الكربوس، ١٩٧١م، الصفحات ١٠٩ – ١١٠) والي قرطبة جيوش المرابطين على طليطلة، فتعرض له البرهانس (قتل٥٠٧هـ/١١١٤) (sabio, 1955, p. 103)[2] ، ونشبت بينهما معركة هزم فيها البرهانس، ورجع المزدلي إلى قرطبة (الكربوس، ١٩٧١م، صفحة ٢/ ١٢١) (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٤ / ٥٧ ، ٥٨) (زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،، د . ت، صفحة ٢/ ٨٦ ، ٨٧) (Ferreras, 1720, p. 218). وفي رمضان(٥٠٨هـ/ يناير١١١٥م)، سار المزدلي لغزو طليطلة، واستشهد في القتال بالقرب من حصن قسطانية بنواحي طليطلة في شوال من العام نفسه (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٤ / ٦٠) (زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د . ت، صفحة ٢/ ٨٦ ، ٨٧) (toledanos, 1767, p. 387) (Ferreras, 1720, p. 225).وفي سنة(٥١٥ هـ/١١٢١م)، عبر أمير المسلمين علي بن يوسف،

() المزدلي: هو مزدلي بن محمد بن ترقوت اللمتوني، من أقارب يوسف بن تاشفين واحد قادته البارزين تولى مناصب عدة في الأندلس وقاد عدة حملات استشهد في شوال (٥٠٨هـ/ ١١١٥م).

() البرهانس حاكم مدينة سرته ، ومن كبار قادة الفونسو السادس ، اشترك في معركة اقليش سنة (٥٠١ هـ / ١١٠٨ م) التي انتهت بهزيمة النصارى ، واستيلاء المرابطين على مدينة قونكة ، ففقد البرهانس اقطاعيته في سرتة وقونكة ، فولاه الفونسو السادس مدينة طليطلة (٥٠٢ هـ / ١١٩ م)، واسترد قونكة من المرابطين سنة (٥٠٤ هـ/ ١١١١ م)، واستطاع البرهانس ان يرد عن طليطلة هجمات المرابطين ، قتل سنة (٥٠٧ هـ/ ١١١٤ م)، وهو يدافع عن حقوق الملكة اوركا والده الفونسو السابع ضد الارغونيين .

وغزا أراضي طليطلة والبرتغال، وولى اخيه تميم بن يوسف **(ت٥٢٠ هـ/١١٢٦)** جميع بلاد الأندلس، ثم عاد أمير المسلمين إلى المغرب (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٢/ ٩٠) .

من الواضح أنَّ الحملات التي قادها أمير المسلمين كانت قوية، وذات أهداف عسكرية محددة، ففي كل عبور يحقق انتصارات، وهذه الانتصارات ضرورية لحفظ هيبة أمير المسلمين ومكانته، والوزراء وأفذاذ المرابطين المرافقين له، زيادة على ذلك أنها رسائل تطمين لأهل الأندلس، وجيش المرابطين فيه، كما أنها تهدف إلى إشعار الممالك النصرانية بوجود جيش إسلامي خلف حدود الأندلس بقيادة أمير المسلمين، وان هذه القيادة، وهذا الجيش جاهز للعبور إلى الأندلس، إذا ما تعرضت أرواح المسلمين، وأراضيهم فيه إلى الخطر.

استمر تميم واليا على الأندلس حتى وفاته، فولي مكانه تاشفين بن علي سنة (٥٢٢ هـ/١١٢٨م)، وعبر إلى الأندلس في جيش من خمسة آلاف فارس، وخرج غازيا إلى طليطلة، ففتح بعض حصونها ، ودمر ما حولها، ثم سار غربا فهزم جيش النصارى بفحص الضباب، وفتح اكثر من ثلاثون حصنا من حصون غرب الأندلس (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، صفحة ٣/ ٤٤٦).وفي سنة**(٥٢٣هـ/١١٢٩م)**، سير تاشفين جيش إشبيلية بقيادة وإليها واجدي بن عمر بن سير اللمتوني، فغزى طلبيرة، وعاد بالغنائم، وفي طريق عودته تبعه فرسان قشتالة وهاجموه والحقوا به الهزيمة، فعزله أمير المسلمين عن ولاية إشبيلية، وولي مكانه أبو زكريا يحيى بن علي بن الحاج (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٣/ ٤٤٦) ثم خرج تاشفين غازيا إلى طليطلة مستغلا انشغال الفونسو بأخضاع الاقماط المناوئين له في قشتالة وليون، فذكر كاتب المدونة (Ch, p. 110): " ان تاشفين حشد جيشه وزحف نحو طليطلة، وعبر نهر التاجة وسار إلى حصن السكة، وكان بداخله حامية بقيادة تللو فرناندیز، فهاجم تاشفين الحصن في منتصف الليل وستولى عليه عند غروب اليوم التالي، بعد معركة قتل فيها ما يقرب من ثلاثمائة من الجند القشتاليين، وهدم الحصن حتى سواه بالأرض، وأسر تللو فرناندیز وجنده، ونقل إلى قرطبة، ثم إلى قصر علي بمراكش، ولم يعد إلى إسبانيا ".

لم تحدد المدونة تاريخ هذه الغزوة، واختلفت المصادر الإسبانية في تاريخها، فسجلتها تحت أحداث سنة **(٥٢٢ هـ/١١٢٨م)** (toledanos, 1767, p. 404) (Sandova, 1792, p. 118)، بينما سجلها خوان فريراس سنة **(٥٢٦ هـ/١١٣٢م)** (Ferreras, 1720). في حين ذكرت المصادر الإسلامية تاريخ الغزوة وأسبابها، فأشارت إلى ذلك: أنه في رمضان سنة **(٥٢٤ هـ/١١٣٠م)**، حاصر

تاشفين حصن السكة من أعمال طليطلة، الذي اتخذه النصارى مركزا للإغارة على المسلمين، والحقوا بهم ضررا كبيرا، فحاصره تاشفين واستولى عليه وأسر قائده، ثم عاد إلى غرناطة (القطان، ١٩٩٠م، الصفحات ٢١٥ – ٢١٦) (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م). والأرجح ما حددته الرواية الإسلامية؛ لأنها ذكرت أسباب الغزوة ، وحددت تاريخها، تحديدا دقيقا.

استمرت الغارات على الحدود، فذكر كاتب المدونة (Recuero, (Ch, pp. 110 – 111) (1997, p. 91: " غارت قوات المرابطين بقيادة فرج (toledanos, 1767, p. 389) (Ch, p. (153)[1] قائد قلعة رباح، وعلي قائد حصن سان ستبان(شنت اشطبين)، على أراضي طليطلة، وقتلوا عدداً من القشتاليين، وحشدوا جيشاً من المرابطين والمسلمين الإسبان في اوريخا، فانتشروا جنوب نهر الوادي الكبير، وتسللوا ليلاً إلى محيط طليطلة، فنصبوا كمينا، وكان جوتيير ارميلدث حاكم طليطلة حينئذ في مدينة الفهمين، وفي صباح ذلك اليوم ظهر عدد من فرسان المرابطين يسوقون بعض الماشية، فتبعهم جوتيير ارميلدث ومعه أربعون فارساً، وعندما وصلوا إلى موقع الكمين اسفل الوادي ظهر المرابطون فجأة، فنشبت معركة، قتل فيها جوتيير ارميلدث واغلب فرسانه، وبقى واحد منهم، وهو مونيو الفونسو حاكم حصن مورة آنذاك، فوقع أسيراً مع بعض الفرسان، ونقلوا إلى قرطبة، وبعد أيام عدة افتدى نفسه، وعاد إلى طليطلة، ثم إلى قلعة مورة ". بينما تحدثت المصادر الإسلامية عن معركة وقعت بين الأمير تاشفين، والقشتاليين بالقرب من قلعة رباح، تكاد أحداثها تتشابه مع ما ذكرت المدونة، فذكرت انه في ربيع الأول سنة (٥٢٦ هـ/ ايلول١١٣١م)، خرج القشتاليون من طليطلة، متوجهين إلى قرطبة، ووصل الخبر إلى الأمير تاشفين، فاستعد وجمع جيوشه، وخرج للجهاد، وقد وصل القشتاليون إلى حصن شنت اشطبين والوادي الأحمر، واستولوا عليه، ووصل زحفهم إلى قرية براشة، وهناك تقابل الجمعان، فنشبت بينهما معركة انتهت بهزيمة القشتاليين، وأسر قائدهم وعشرين من كبار الفرسان، فسار بهم إلى قلعة رباح لقربها من ميدان المعركة، فترك الأسرى عندهم ليفدوا بهم أسراهم (عذاري، ١٩٨٣ م، الصفحات ٢/ ٨٥ – ٨٦) (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، صفحة ١/ ٤٥١).

---

١ () فرج ويعرف ايضا باسم علي الحاج ، ورسم الاسم في الحوليات الطليطلية الاولى Farach adali.، زعيم مسلم اسباني ، كان حاكم قلعة رباح ، وقتل بعض القادة القشتاليين ، ومنهم مونيو الفونسو ، المحارب القشتالي المشهور ، وقد تأمر فرج مع ابن حمدين قاضي قرطبة على قتل المستنصربالله ، وعندما علم الاخير بالؤمرة امر الجند النصارى المواليين له بقتل قائد قلعة رباح ، وكان ذلك في شعبان (٥٣٩ هـ/ يناير ١١٤٥ م)

اتفقت رواية المدونة مع المصادر الإسلامية في تحديد مكان المعركة، وفي فداء الأسرى، بينما اختلفت في قيادة الحملة، فالمدونة لا تنسب القيادة إلى الأمير تاشفين، بل إلى القائدان فرج وعلي، زيادة على ذلك أنَّ المصادر الإسلامية لم تشر إلى مقتل حاكم طليطلة، في حين ذكرت الحوليات الطليطلية الثانية مقتله في سنة (٥٢٦هـ/١١٣١م) (Annales toledanos Vol (Ch, p. 112) .23., p. 404) (Sandova, 1792, p. 24). ثم عاد القائدان إلى مهاجمة طليطلة: " عاد القائدان فرج، وعلي إلى حدود طليطلة، وخاضا معركة مع الأخوين دومنجو وديجو الباريز، حكام اشكلونة، انتهت بهزيمة القشتاليين وقتل حكام اشكلونة " (Valencia, 1970, p. 94).

لم تشر المصادر الإسلامية إلى هذه المعركة، على الرغم من انتصار المسلمين فيها. ثم استرسل كاتب المدونة (Ch, pp. 113 – 115) في وصف المعارك الواقعة، بقوله: " خرج الأمير تاشفين ومعه الزبير(ت ٥٣٨هـ) [1] (القطان، ١٩٩٠م، الصفحات ٢٦٦ – ٢٦٧) (لسان الدين بن الخطيب؛، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، صفحة ١/ ٤٥٠) (الزركلي، (١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م)، صفحة ٣/ ٤٣)أمير قرطبة، وابن سيتا[2] (Ch, p. 1130) أمير إشْبيلية، في جيش كبير، بهدف مباغتة طليطلة وتخريب المدن المحيطة بها،... فعسكروا عند سهل اليسانة (ابن العباس، ابن عذاري احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ هـ)، ١٩٨٣م، صفحة ٤/ ٩٠)[3] ، وفي اليوم نفسه خرج الف من فرسان أبلة وشقوبية، وعدد من المشاة وسلكوا الطريق المؤدي إلى سهول قرطبة، وفي أثناء زحفهم علموا أنَّ الأمير تاشفين عسكر في سهل اليسانة، فتوقفوا في مكانهم ونصبوا معسكرهم، واستعدوا للدفاع، وانقسم الجند إلى فرقتين، فرقه في المعسكر، والأخرى خرجت وهاجمت معسكر المسلمين بغتة، فوقع الاضطراب والذعر في المعسكر، ونشبت معركة حامية ، قتل فيها عدد كبير من المسلمين وفر بعضهم، فجرح تاشفين في ساقه، واضطر

() الزبير : ورسم في الحوليات الطليطلية ، وهو ابو محمد الزبير بن عمر اللمتوني من ابناء عمومه علي بن يوسف ، كان من القادة البارزين في الاندلس ، فقد ذكر ابن الخطيب بانه وزيرا لتاشفين بن علي بن يوسف اثناء عمله في الاندلس ، ووصفه ابو بكر الصيرافي بانه كان " ندرة الزمان كرما وبسالة ، وحزما واصالة ، خلف تاشفين على غرناطة سنة ٥٢٦ هـ/ ١١٣٢ م ، واسند اليه ولاية قرطبة سنة ٥٣٣ هـ/ ١١٣٩ م، وظل عليها حتى استشهد في موضع يسمى وادي الدروع في سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٤م .

٢() ابن سيتا : لم يعرف من المقصود بهذا الاسم ، وذكر في المدونة حاكم اشبيلية ، ولم تمدنا المصادر الاسلامية والاسبانية بمعلومات عن هذا القائد .

٣) هي مدينة حصينة على ضفاف وادي يانه، كانت تسمى مدينة اليهود لكثرتهم بها.

إلى الفرار على فرس بغير ركاب، وعاد إلى قرطبة في حالة من الخزي، وكان موضع عناية الأطباء، وأصيب بالعرج حتى وفاته".

أنَّ المدونة لم تحدد تاريخ المعركة، وسجلت أحداثها قبل الحديث عن معركة إشبيلية، بينما ذكرت الرواية الإسلامية أنَّ الأمير تاشفين خرج بعد عيد الأضحى، ذي الحجة (٥٢٨ هـ/ا كتوبر ١١٣٤م)،[1] (Ferreras, 1720, p. 277) (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٢/ ٩٠) بقوات قرطبة وغرناطة ليقطع الطريق على الغزاة، وقد انضم إليه جيش إشبيلية بقيادة أبي يعقوب ينتان بن علي[2] (ابن العباس، ابن عذاري احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ هـ)، ١٩٨٣م، صفحة ٣/ ٧٥)(تولى إشبيلية في شوال٥٢٧ ـ صفر٥٢٩هـ/ اغسطس١١٣٣ـ نوفمبر١١٣٥م) بفحص الريحانة، ثم سار إلى موضع يعرف بالبكار شمال قرطبة ، فتمكن جيش قشتالة من رؤيتهم فقامت فرقة تبلغ نحو ألفين، فانقضت على قوات المرابطين ليلا بغتة، فدب الخلل بالمعسكر، ونهبت أمتعتهم وفر المسلمون، وقصدت الفرقة القشتالية خيمة الأمير تاشفين، فأشار إليه بعض خاصته بالفرار، فأبى وثبت واصطف حوله عدد قليل من أفذاذ المرابطن وفرسان الأندلس، فحالوا بينه وبين القشتاليين، ووقعت بينما معركة عنيفة، تمكن احد المقاتلين المسلمين من طعن قمط النصارى برمحه، فانتهت المعركة بهزيمة القشتاليين، وارتدادهم إلى معسكرهم، وقتل وجرح عدد كبير من الجانبين، وفي الصباح سار الأمير تاشفين بقواته إلى حصن قشرش، ثم رجع إلى قرطبة، فتفرقت العساكر ورجعت النصارى بغنائمهم إلى بلادهم (القطان، ١٩٩٠م، الصفحات ٢٤١ – ٢٤٢) (عذاري، ١٩٨٣ م، الصفحات ٢/ ٩٠ – ٩١) (لسان الدين بن الخطيب؛، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، الصفحات ٢/ ٢٥٨ – ٢٦٣) (سماك، (١٤٢٠هـ/٢٠١٠م)، صفحة ٩٢).

إنَّ القراءة المعمقة للروايتين تبين اتفاقهما، إلّا أنَّ المدونة أضفت على فرسانها البطولة، والحقيقة أنَّ الأمير تاشفين لم يصب تلك الإصابة، ولم يفر من ميدان المعركة (القطان، ١٩٩٠م، صفحة ٢٤٢) ، كما اختلفتا في اسم أمير إشبيلية، فالمدونة ذكرت أنَّه ابن سيتا، بينما ذكرت المصادر الإسلامية أنَّه أبي يعقوب ينتان بن علي. (الذهبي، سير اعلام النبلاء، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)).

---

(1) سجل ابن القطان تلك المعركة سنة ٥٢٩ هـ ، والتاريخان متقاربان ، لان خروج تاشفين حسب رواية ابن عذاري كان في ذي الحجة سنة ٥٢٨ هـ ؛ بينما سجلها خوان فرارس تحت احداث ١١٣١م.

(2) ينتان بن علي بن يوسف بن تاشفين، هو أصغر ابناء علي بن يوسف تولى اشبيلية (سنة ٥٢٧-٥٢٩هـ/١١٣٣-١١٣٥م).

المبحث الثاني : تحالف المستنصر بالله بن هودمع الفونسو السابع

حدث تطور في الصراع سنة **(٥٢٥ هـ/١١٣١م)** بعد دخول المستنصر بالله[١] (الذهبي، سير اعلام النبلاء، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ، صفحة ٤٢/ ٢)المعروف في المدونة باسم (سيف الدولة)، صاحب حصن روطة، في تبعية الفونسو السابع، بعد أن ضاق بسلطان الفونسو المحارب، فتركه ودخل في تبعية الفونسو السابع، وتنازل له عن حصن روطة، مقابل حصوله على بعض الأراضي المجاورة لطليطلة بصفة إقطاع (Sandoval, pp. 123 – 125). فسجلت المدونة تفاصيل الاتفاق :" في عام **(٥٢٥ هـ /١١٣١م)** ارسل سيف الدولة مبعوثين إلى ملك ليون برغبته في زيارته، وان يرسل إليه بعض نبلاءه لاصطحابه من روطة وحمايته، خوفا من المرابطين، فارسل إليه كلا من القمط جوتير فرناندیز ورودريجو مارتينز، وهما من كبار فرسانه، فرحل سيف الدولة بصحبتهما إلى طليطلة، فرحب به الفونسو السابع... واصبح سيف الدولة وأبنائه فرسان الفونسو، وتعهدوا بخدمته طوال حياتهم، وتنازل سيف الدولة له عن حصن روطة، فعهد به الفونسو إلى ابنه شانجه القشتالي، بينما منح الملك لسيف الدولة حصون ومدن في منطقة طليطلة، وأسترامادورة، وضفاف نهر دويرة، فأنتقل سيف الدولة إليها بأهله " (Ch, pp. 66 – 67).

اختلفت المصادر الإسلامية في تاريخ تنازل المستنصر عن حصن روطة لألفونسو، فقد ذكره ابن الأثير (ابو الحسن، علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠هـ)؛ ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣، صفحة ٣/ ٢٨٦)، في أحداث سنة **(٥٢٩ هـ/١١٣٤م)**، فعلق على ذلك بقوله : " فعل المستنصر بالله فعله لم يفعلها قبله احد ". بينما آخره ابن الابار (ابن الابار، (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، الصفحات ٢/ ٢٤٩ – ٢٥٠) ، إلى شهر ذي القعدة سنة **(٥٣٤ هـ/ يوليو ١١٤٠م)**. إلّا أنَّنا نشير إلى أنَّ هذه الرواية غير دقيقة، لأنَّ المستنصر خرج بصحبه الفونسو السابع في حملته على الأندلس سنة **(٥٢٧هـ /١١٣٣م)**. في حين ينفرد ابن الكردبوس[٢] (الكردبوس، ١٩٧١م) (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م) بروايته، وخلاصتها: إنَّ الفونسو السابع راسل المستنصر بالله، وعرض عليه أن يتخلى عن حصن روطة، ويعوضه بما هو احسن منها، بحيث يغدوا اقرب إلى بلاد غرب الأندلس، كما اقترح عليه مساعدته حتى يعترف به مسلمو الأندلس، وانه سوف يخرج معه بنفسه إلى البلاد المتاخمة لقشتالة، يدعو أهلها لطاعته، فتخلى المستنصر لألفونسو عن حصن روطة، وخرج معه إلى غرب الأندلس، بقوات كثيفة، فما

(١) هو احمد بن عبدالملك بن هود المستنصربالله، من اسرة بني هود التي حكمت مملكة سرقسطة، كان بيده قطعة من الاندلس استعان بالنصرى على اقامة دولته، توفي سنة ٥٤١هـ.

(٢) المزدلي: هو مزدلي بن محمد بن ترقوت اللمتوني، من أقارب يوسف بن تاشفين واحد قادته البارزين تولى مناصب عدة في الأندلس وقاد عدة حملات استشهد في شوال (٥٠٨هـ/ ١١١٥م).

قصد موضعا إلا القاه ممتنعاً، ولم يستجب لدعوته أحد، خوفاً أن يتملكهم العدو، بينما تنازل الفونسو، للمستنصر عن بعض المدن والحصون الواقعة على حدود طليطلة، التي تعرضت لهجمات مستمرة من المرابطين.

من الواضح أنَّ المصادر الإسلامية اختلفت، في تحديد تاريخ تبعية المستنصر لألفونسو، إلّا أنَّها اتفقت على خضوعه، وتنازله عن حصن روطة الاستراتيجي، الذي دفع المسلمون المئات من الشهداء في فتحه، والدفاع عنه، وربما كان العوض الذي حصل عليه المستنصر لا يقل أهمية عن حصن روطة، لأن هدف الفونسو جعل المستنصر سدا بينه وبين المرابطين، والحصول على حدود ثابته على الجبهة الاكثر خطورة في الأندلس من جهة المسلمين، الذين يشنون هجمات مستمرة لاستعادة طليطلة، زيادة على ذلك حصوله على حدود ثابتة مع مملكة ارغون، كما أنَّ رفض المسلمين لدعوة المستنصر بالله للدخول في طاعته بمساعده الفونسو، ليس خوفاً من أن يتملكهم العدو فحسب، كما ذكر ابن الكردبوس، وإنما يأبى العرب المسلمون الدخول في طاعة ملك أو أمير يعتمد في ملكه، على ملك استباح دماء المسلمين وممتلكاتهم، والأهم من ذلك أنَّه يختلف عنهم في دينه وعقيدته وقوميته، وهذا لا يجوز شرعاً، إذ قال تعالى في محكم الكتاب:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ (**آل عمران: الاية ٢٨**)، كما نهى رسول الله عن ذلك بقوله: ((**مَن كثَّرَ سوادَ قومٍ فَهوَ منهم، ومن رضيَ عملَ قومٍ كانَ شَريكَ من عملَ بِهِ**)) (**أبو يعلى في مسنده، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رقم الحديث: ٥٦٤٨**) ، ويبدو لنا أنَّ التأريخ الذي حددته المدونة لتبعية المستنصر لألفونسو هو الأرجح.

فقرر الفونسو غزو الأندلس، والانتقام من المرابطين، فقام بأعداد حملة عسكرية كبيرة، فأشارت المدونة إليها: إنه في السنة السابعة من حكم الفونسو السابع (**أي في٥٢٧ هـ/١١٣٣م**) احتشد الجيش القشتالي في طليطلة ، وخرج الفونسو على رأس الجيش مصطحبا سيف الدولة في أواخر مايو من العام نفسه، فعسكر قرب نهر التاجة، وقسم جيشه إلى قسمين، احدهما بقيادته، والآخر بقيادة رودريجو جونثالث، لقلة ماء الشرب !!!، وعدم كفاية المراعي لرعي الحيوانات (Ch, pp. 71 – 72).

مما لاشك فيه أنَّ ما ذكره كاتب المدونة من أنَّ قلة ماء الشرب، من بين أسباب تقسيم الفونسو السابع جيشه إلى قسمين غير واقعي ومنطقي؛ إذ في الأندلس اكثر من أربعون نهراً، خاصة طليطلة التي تحيط بها المياه من ثلاث جهات، وهي من أجمل مدن الأندلس لكثرة مياها وبساتينها، والمصادر العربية والأجنبية

أسهبت في وصف طبيعة الأندلس، فهذا يدفعنا إلى القول: إما أن كاتب المدونة لم يزر إسبانيا النصرانية، أو على اقل تقدير لم يزر طليطلة، والشك في أن كثير من المعلومات تم حذفها من المدونة الأصلية بعد الترجمة الكثيرة لها إلى عدة لغات. فدخل الفونسو بجيشه أراضي المرابطين عن طريق ممر بورتويانو(Puertollano pass) ، بينما دخل القسم الثاني من الجيش عن طريق ممر دسبنيابرو (Despenaperros Pass) (Sandova, 1792, pp. 133 – 134) (Ch, pp. 71 – 72) ، فسار الجيش في أراضي غير مأ هولة بالسكان، و التقى الجيشان بالقرب من قلعة جايدو الإسلامية، بعد أن تمكنا من توفير الماء والمراعي، فدخل الجيش أراضي قرطبة، (francisco, 1681, p. 567) . وخرجت من المعسكر فرقة كبيرة، اجتاحت المنطقة الواقعة بين إشبيلية وقرطبة و قرمونة، وقامت بحرق المزارع بعد فرار أهلها، فاستمرت الغارات ثمانية أيام، ثم استأنف الرحيل، ووصل إلى مدينة شريش فسلبها وخربها، وأخيراً وصل إلى مدينة قادش على البحر، فمكث فيها أيام عدة ، ثم رحل الفونسو إلى إشبيلية، فوجد جيشا كبيرا من المرابطين ينتظره، ويحيط باسور المدينة مستعدا للقتال، ولكن تغلب عليه الجيش القشتالي، (francisco, 1681, p. 567) (Ch, pp. 73 – 74) ، ولما رأى أهل إشبيلية عجز المرابطين عن حمايتهم، ارسلوا وفدا إلى سيف الدولة الذي رافق الجيي (Amarela pass) ، وسار إلى طلبيرة، بعد أن حقق أهداف الحملة، بثأر والانتقام لمقتل تللو فرناندیز ورفاقه ، وكذلك الثأر لمقتل جوتير ارميلدث حاكم طليطلة (Ch, pp. 74 – 75).

اتفقت المدونة مع المصادر الإسلامية في تحديد تاريخ الحملة، في سنة (**٥٢٧ هـ/١١٣٣م**) (القطان، ١٩٩٠م، صفحة ٢٢٩) (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٢/ ٨٨) (Francisco, 1899, pp. 25 – 26). وان المدونة أسهبت في تفاصيلها ، بينما أوجزت المصادر الإسلامية، فأشارت إلى وصول الفونسو، والمستنصر إلى إشبيلية، ثم إلى شريش، فدخلوها وقتلوا من وجد فيها، ثم رجعوا إلى بلادهم دون مقاومة من المسلمين (القطان، ١٩٩٠م، صفحة ٢٢٩) (عذاري، ١٩٨٣ م، صفحة ٢/ ٨٨) – (Francisco, 1899, pp. 25 – 26) أما عن نتائج الحملة فقد الحق الجيش القشتالي أضراراً بالغة بالأندلس، وعاد رجال الحملة محملين بالغنائم، زيادة على ذلك أنَّ الحملة كشفت ضعف المرابطين، وبدأت الدعوة لطردهم من الأندلس، بعد أن ثبت ضعفهم وعجزهم عن حماية المسلمين، فتشجع الفونسو في شن حملة أخرى على الأندلس، ووصل زحفه إلى ضفاف نهر الوادي الكبير (Antonio, 1944, pp. 354 – 355)). فكان رد فعل المرابطين، خروج الأمير تاشفين غازيا إلى غرب الأندلس سنة (**٥٢٧ هـ/١١٣٣م**)، فتوجه إلى حصن انطاطة، القرب من قنطرة السيف، وفتحه عليهم، وقتل من وجد فيه، وسبا النساء والأطفال، وهدم الحصن حتى سوي بالأرض (القطان،

١٩٩٠م، صفحة ٢٣٠). بينما ذكر ابن أبي زرع (زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د . ت، صفحة ٢/ ٩٠) أنَّ الأمير تاشفين خرج غازياً قنطرة محمود ، فدخلها عنوة بالسيف سنة (**٥٢٨ هـ/١١٣٤م**) وهنا يظهر الاختلاف بين روايتي ابن القطان، وابن أبي زرع في مكان الغزوة، فالأول ذكره حصن انطاطة القريب من قنطرة السيف، بينما سماه الثاني قنطرة محمود، وكلا الموضعين يقع غرب الأندلس (سالم، د .ت، صفحة ٢/ ١٦٥). والأرجح ما ذكره ابن القطان، إذ إنه اقدم من ابن أبي زرع، زيادة على ذلك تحديد الحصن الذي فتحه المرابطين، وان المدونة حددت التأريخ الذي ذكره ابن القطان أيضاً، بينما اكتفا ابن أبي زرع بذكره أنَّ الأمير تاشفين فتح قنطرة محمود بالسيف، ولم يبين ماهي هذه القنطرة، وما الجدوى العسكرية من فتح قنطرة.

ثم تجددت الحروب بين المرابطين والقشتاليين في سنة (**٥٢٨هـ/١١٣٤م**)، فقد حشد الفونسو جيشا كثيفاً من عدة آلاف، وسار نحو بطليوس ويابرة وباجة، وخرب أراضيها، فأخذ الأمير تاشفين يتتبع الجيش القشتالي، للحاق به في جماد الأول سنة (**٥٢٨هـ/** مارس**١١٣٤م**)، وعلم من طلائعه وادلائه خط سير العدو، فأنتظره بالقرب من الزلاقة، واقبل الجيش القشتالي فهزم، وسقطوا ما بين قتيل وأسير، فحقق الأمير تاشفين نصراً عظيماً، وانقذ الأسرى، واخذ الغنيمة منهم، ثم عاد الأمير إلى قرطبة ظافراً، ومنها إلى غرناطة (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، صفحة ١/ ٤٥٢) (لسان الدين بن الخطيب؛، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، صفحة ٢/ ٢٥٧) (ابن العباس، ابن عذاري احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ هـ)، ١٩٨٣م، الصفحات ٢/ ٨٨ – ٨٩) (سماك، (١٤٢٠هـ/٢٠١٠م)، الصفحات ٩٠ – ٩١) (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، الصفحات ٣/ ١٣٦ – ١٣٨)، ولم يذكر كاتب المدونة هذه الغزوة.

وفي أثناء ذلك تطورت الأحداث في ارغون لصالح قشتالة، على إثر موت الفونسو المحارب ملك ارغون سنة (**٥٢٨ هـ/١١٣٤م**)، فلم يتمكن الفونسو السابع منذ ذلك التأريخ حتى سنة (**٥٣٢هـ/١١٣٨م**)، من السير بنفسه إلى قتال المسلمين، فترك امر قيادة الحملات إلى نفر من القادة البارعين، فكان رودريك فرناندیز حاكم طليطلة، ومونيو الفونسيز حاكم مورة يحاربان باستمرار والي إشبيلية وقرطبة (اشباخ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، صفحة ١٨٢)، وكان الإمبراطور منشغلاً بإقرار الأوضاع في ارغون ونبرة، في المدة التي تبعت وفاة الفونسو المحارب، فتمكن من فرض نفوذه على القسم الأكبر من تلك الأراضي، كما عقد عهود التحالف، و الصداقة مع أمير برشلونة، وعدد من اقماط ولايات البرنية الفرنسية (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، الصفحات ٣/ ٤٩٥ – ٤٩٦).

إن فرض الفونسو السابع سيطرته على القسم الأكبر من مملكة الفونسو المحارب، واستقرار الأوضاع في مملكة ارغون ونبرة، انعكس ذلك إيجاباً في الصراع لصالح مملكة قشتالة، أي في الوقت الذي استقرت فيه الأوضاع السياسية في الممالك الإسبانية، وسيطرة الفونسو السابع على أغلب أراضي إسبانيا النصرانية، ظهرت في بلاد المغرب قوة تنازع المرابطين في السيطرة عليه، وهذه القوة قائمة على فكرة دينية عقائدية، شنت حملة دعائية خطيرة على المرابطين ، وأتهمتهم في عقيدتهم، ودعاية أخرى لا تقل خطورة عن ذلك، زيادة على ذلك شنت حرباً عليهم في بلاد المغرب، مما دفع أمير المسلمين علي بن يوسف إلى سحب جزاء كبيراً من قواته في الأندلس، وخيرة القادة المرابطين، وعلى رأسهم الأمير تاشفين بن علي، الذي احدث تعينه واليا على الأندلس نقلة نوعية في الصراع مع مملكة قشتالة لصاح المرابطين.

المبحث الثالث : تتويج الفونسو السابع ملك قشتالة وليون إمبراطورا، وأثر ذلك على الصراع.

دعا الملك الفونسو السابع إلى عقد مجلس في كنيسة القديسة مريم بمدينة ليون، في شعبان سنة (٥٢٩هـ/٢ يونيو١١٣٥م) لمناقشة شؤون العقيدة، وأمور أخرى تخص مملكة قشتالة، وفي ذلك المجلس تقرر منح الملك الفونسو السابع لقب (الإمبراطور) ، لاتساع أراضيه، وموت الفونسو المحارب ملك ارغون، وفرض سيادته على أراضي إسبانيا النصرانية، وامتداد حدود مملكته من شواطئ بحر الظلمات(المحيط الأطلسي)، تقريبا حيث تقع مدينة سينتياجو (شنت يافت)، حتى ضفاف نهر الرون، فاعترف بسيادته كل من ملك نبرة غرسية رأميرث (٥٢٨ ـ٥٤٥ هـ/١١٣٤ ـ١١٥٠م)، وقمط برشلونة الكونت رامون برنجير الرابع (٥٢٥ ـ٥٥٧ هـ/١١٣١ـ١١٦٢م)، وقمط تولوز الفونسو خوردان ، والمستنصر بالله، وكثيرا من نبلاء جسقونية، وفرنسا، فتوج الفونسو إمبراطورا، وامر حكام طليطلة، وسكان الحدود بالاستعداد العسكري الدائم لشن الحرب على المسلمين (Sabio, 1955, p. 653) (Sandoval, p. 16) (Ch, pp. 87 – 90)، ولكن سرعان ما ساءت العلاقة، وتجددت الخلافات بين الإمبراطور، وغرسية رأميرث ملك نبرة، الذي كان يطمح بالزواج من بترونيلا ابنة رأميرو الراهب ملك ارغون، الذي كان يعتمد في تحقيق ذلك الزواج على حليفه الإمبراطور الفونسو، إلّا أنَّه خيب آماله عندما أيد، وبارك زواج هذه الأميرة من ريموند برنجير الرابع قمط برشلونة، عندئذ اظهر الملك غرسية حنقه، وإعلان تمرده على الإمبراطور، وبدا يبحث عن حليف يناصره ضده، فتحالف معه أمير البرتغال الفونسو هنريكيز(٥٢٢ ــ ٥٨١ هـ/ ١١٢٨ ــ ١١٨٥م)، واتفقا على أن يقوم جيش نبرة بالهجوم على

مملكة قشتالة من جهة الشرق، و يهاجم الجيش البرتغال جليقية، على أن يتم ذلك في وقت واحد، ويبدا الهجوم خلال شهري سبتمبر واكتوبر **(١١٣٦ م / صفر٥٣١ هـ)** (النشار، ١٩٩٥ م ، الصفحات ٩٠ – ٩١) ، فتتعدد جبهات القتال على الحدود القشتالية، فقامت الحرب على ضفاف نهري مينو، وابرو في شمال البرتغال، فزحف الإمبراطور على نبرة بجيش كثيف، ثم جاءته الأخبار بتقدم الجيش البرتغالي في جليقية، فاضطر إلى السير إلى الناحية الأخرى من مملكته، وان ينسحب من الأراضي النبرية، حتى لا يفقد جليقية، (اشباخ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م). فأنتهز الأمير تاشفين هذه الفرصة، فقام بغزوات عدة ضد قشتالة، لم تسجلها المدونة، (عذاري، ١٩٨٣ م، الصفحات ٢/ ٩٤ – ٩٥) (سماك، (١٤٢٠هـ/٢٠١٠م)، الصفحات ٩١ – ٩٢). منها خرج في ربيع الأول سنة (٥٣١ هـ/١١٣٦م) غازياً، ففتح حصونا (ابن العباس، ابن عذاري احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ هـ)، ١٩٨٣م، صفحة ٢/ ٩٦). وهزم جموعا من فرسان قشتالة بالقرب من فحص عطية، وقتل خلقا كثيرا منهم، فاستولى على أسلابهم، ودخل مدينة كركي على مقربة من قلعة رباح، فوجدها خالية من السكان (زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، د . ت، صفحة ٢/ ٩١) (السيلاوي، (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م)، صفحة ٢/ ٦٢) (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، صفحة ٣/ ١٤٢) (سالم، د .ت، صفحة ٢/ ١٦٥).

وفي سنة٥٣٢ هـ/١١٣٧م، توجه الأمير إلى مدينة اشكلونة، فدخلها عنوة وقتل من كان فيها، وسبا نساءها، وغنم أسلابها، فعاد إلى قرطبة حاملا الغنائم والسبي (القطان، ١٩٩٠م، صفحة ٢٥١) ، فذكر ابن أبي زرع أنَّ الأمير تاشفين حمل من سبيها إلى العدوة ست آلاف سبية، فوصل إلى العاصمة مراكش فتلقاه والده، وفرح به (زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ،، د . ت، صفحة ٢/ ٩١). يبدو أنَّ هذا العدد من السبي مبالغ فيه.

وفي المحرم سنة (٥٣٢ هـ/ اكتوبر١١٣٧م) رحل الكونت رودريجو جونثالث إلى القدس، فعهد الإمبراطور بمدينة طليطلة إلى رودريجو فرناندیز، فعينه قائداً لطليطلة، ومنحه مدن عدة، وقرى في استرامادورة، فشن ثلاث غارات تخريبية على أراضي المسلمين (Sandoval, p. 177) (francisco, Ch, pp. 118 – 119) 1681, p. 573). لم يبين كاتب المدونة سبب رحيل الكونت إلى القدس، هل هي مشاركة في الحروب الصليبية هناك، أم ابعد من قبل الإمبراطور لعدم تمكنه من إيقاف هجمات المسلمين على طليطلة وتهديدهم لها. فيبدو لنا أنها إبعاد عن القيادة، فحفظا لماء الوجه رحل إلى

القدس مجاهدا. علما أنَّ الجهاد في الأندلس اصبح مساويا للجهاد في القدس، بعد فتوى البابا بذلك (Ch, p. 119).

لم يرد ذكر الغارات الثلاث التي شنها رودريجو فرناندیز، أو الإشارة إليها في المصادر الإسلامية التي اطلعنا عليها، وإنما ذكرها كاتب المدونة (Ferreras, 1720, p. 298) (Ch, pp. 120 – 121).

ففي الوقت الذي اضطربت أحوال المرابطين في المغرب، عقد الإمبراطور صلحاً مع أمير البرتغال الفونسو هنريكيز في ذي القعدة (٥٣١ هـ/ يوليو١١٣٧م)، فأتجه إلى غزو الأندلس مستغلاً ضعف المرابطين، وانشغالهم بمشاكلهم في بلاد المغرب، فقام خلال فصلي الخريف والشتاء سنة (**٥٣١ هـ/١١٣٧م**) بالاستعداد لشن حرب على المسلمين (Recuero, 1997) ، فأعد حملة اشتركت فيها قوات طليطلة، ورودريجو مارتنيز قمط ليون، ومستشاروا قصر الإمبراطور، وجند استرامادورة، وجاءت تفاصيل هذه الحملة في المدونة: " في مايو عام (**١١٣٨م/** رمضان **٥٣٢ هـ**)، خرج الإمبراطور من طليطلة على رأس حملة، وعسكر على ضفاف نهر الوادي الكبير، فخرجت فرقة من المعسكر؛ للإغارة فجتاحت ضواحي جيان، وابدة وبياسة واندوجر، وقامت بالسلب، واشعلوا النيران في المحاصيل الزراعية،... وبعد عدة ايام عادوا إلى المعسكر الإمبراطوري، ومعهم أسرى وغنائم كثيرة،...، و قامت فرقة من جند استرامادورة بعبور النهر بدون امر الإمبراطور، فقاموا بالحرق والتخريب، وبعد ان جمعوا غنائمهم، عادوا لعبور النهر، فتعذر عليهم العبور؛ بسبب سقوط الأمطار الغزيرة ليلا، فارتفع ماء النهر حتى فاض (Ch, pp. 122 – 123) ، وفي الصباح لم يستطيعوا العبور، فتوقع الإمبراطور حدوث مأساة، فانسحب مع حارسه الخاص حتى لا يشهد الموت المحتوم لجنوده، بينما كان المسلمون يراقبون تحركاتهم، وبعد منتصف النهار رأى الجند المعاقون تقدم سرايا المرابطين، والمسلمين الإسبان، فتغلب عليهم الخوف، وصاحوا عبر النهر يستنجدون بقائد طليطلة؛ ولكن ارتفاع ماء النهر عاقهم عن العبور، فقام النصارى بقتل الأسرى المسلمين، وفي الحال اقترب المرابطون نحوهم، وقتلوهم جميعا، عدا واحد منهم قفز في النهر، ثم جمع المسلمون الأسلاب ورحلوا " (Ch, pp. 123 – 124). ثم أضاف ساندوفال (Sandoval, p. 186) : امر الإمبراطور جيشه بالحضور إلى طليطلة في يوليو، والثأر لمقتل رجاله، فخرج الجيش لغزو مدينة جيان، فتصدي لهم أهلها، فأتجه القشتاليون إلى ابدة وبياسة وعاثوا فيها، واستعدوا لعبور نهر الوادي الكبير، فتعذر عليهم العبور لغزارة الأمطار التي استمرت مدة

تقارب العشرون يوماً، ففاض النهر وعجزت الخيل المغيرة عن العبور، فحاولوا العبور على المعادي، فانكسر بعضها فغرق من كان فيها، فتبعهم قائد حامية جيان، وأوقع بهم الهزيمة، فاتجهوا إلى احد الحصون القريبة من ابدة، ولكنهم عجزوا عن اقتحامه، وعادوا إلى طليطلة، وكان الأمير تاشفين يراقب الموقف، ولكن حالت الأمطار بينه وبين القشتاليين، فلما هزموا وعادوا إلى بلادهم، عبر البحر، فدخل مراكش في أوائل جمادى الأولى سنة (**٥٣٢هـ**/ منتصف يناير **١١٣٨م**) (القطان، ١٩٩٠م، صفحة ٢٥٦) (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، صفحة ١٤٣). من الواضح اتفاق المدونة مع المصادر الإسلامية والإسبانية، في تحديد تاريخ الحملة، وأهدافها، فقد سجلها ابن القطان تحت احداث (**٥٣٢ هـ/١١٣٨م**)، وانها كانت تهدف إلى السيطرة على جيان والمناطق التابعة لها.

ثم اخذ أمير المسلمين علي بن يوسف البيعة لولده تاشفين في ربيع الثاني سنة (**٥٣٢ هـ/١١٣٨م**)، فاستمر تاشفين في الصراع مع الموحدين حتى وفاته سنة (**٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م**)، فساءت أحوال المرابطين (القطان، ١٩٩٠م، صفحة ٢٥٦) (مؤنس، ١٩٥٥، الصفحات ١٠٠ – ١٠٣).

على الرغم من أنَّ الظروف مواتيه لالفونسو في تحقيق نصرا حاسما على المسلمين، إلا أنه لم يحقق ذلك النصر، فشرع في شن هجوم لاسترداد مدينة قورية، فكان استرداد قورية مهما، لاستكمال سيادة ليون على خط التاجو، زيادة على أنها مدينة حدودية تقع بين مملكة قشتالة والبرتغال، والمسلمين (Recuero, 1997, p. 67). فذكر كاتب المدونة: " في يوليو من العام نفسه ـ **١١٣٨ م/** أي ذو القعدة ٥٣٢ هـ ــ استدعى الإمبراطور الفونسو مرة أخرى، رودريجو مارتينز قمط ليون، وجند شلمنقة، فزحف إلى المدينة مرة أخرى للسيطرة عليها، ودبر كمينا على مسافة من أسوارها، وارسل فرقا تقوم بالسلب والأسر، فأنطلق المسلمون من الداخل بشجاعة لمطاردة النصارى الذين تظاهروا بالفرار، لسحب المسلمين بعيدا عن المدينة، وعند مرورهم بالموضع الذي يكمن فيه النصارى، ظهر الإمبراطور في الميدان وانقض على المسلمين فقتلوهم جميعا " (Ch, p. 124) .

من المعلوم أنَّ هذه الطريقة في نصب الكمائن تكررت اكثر من مرة في روايات المدونة، وان أهل الأندلس خبروا طرق، وأساليب الحروب مع النصارى، فلا يمكن قبول خبر طريقة نصب الكمين، خاصة وانها احادية لم تشر إليها المصادر الإسلامية، والإسبانية الأخرى.

فلما رأى أهل قورية ما حدث خارج أسوار المدنية، اغلقوا الأبواب، وقاموا بتحصينها بأخشاب ثقيلة، فأمر الإمبراطور بنقل المعسكر قرب المدينة، وارسل إلى استرامادورة، وليون يستدعي جميع

الفرسان، للمساعدة في الحصار، فأقام الجند أبراجا خشبية للاقتراب من الأسوار، فحاصر المدينة حصارا محكما، ثم امر الإمبراطور قادة الجيش بحشد معدات الحرب استعدادا للهجوم على المدينة، وخرج إلى الجبال للصيد، وفي الصباح بدأ الهجوم على المدينة بقيادة رودريجو مارتينز، الذي تسلق احد الابراج الخشبية، ومعه كثير من الرماة، فحاول المدافعون عن المدينة صد الهجوم بأطلاق وابل من السهام من الأسوار، فأطلق أحد المسلمين سهماً على البرج الذي يتسلقه رودريجو، فأصابه في عنقه، فحمله الجند إلى خيمة، ومات عند الغروب متأثراً بجراحه، فأنتشر خبر مقتل رودريجو، وبعد عودة الإمبراطور من الصيد علم بمقتله، فجمع مستشاريه وفي حضورهم عين اوزوريو، اخ رودريجو قنصلا مكانه (Ch, pp. 124 – 125)، وقرر الإمبراطور رفع الحصار، وعاد إلى شلمنقة، بينما حمل اوزوريو اخاه إلى ليون ودفنه هناك)) (Ch, pp. 124 – 126) (Recuero, 1997).

إن فشل الهجوم على مدينة قورية، يرجع إلى صمود المسلمين، والتحصينات الدفاعية للمدينة، وقوة أسوارها، زيادة على ذلك أنَّ الإمبراطور لم يعطي الرحة لجنده، أي ضيق المدة بين حملته الفاشلة على جيان، وحصار مدينة قورية، فلم يتح فرصة لراحة الجند، والأعداد الجيد للحملة، وأما خروج الإمبراطور إلى الصيد أثناء الهجوم على المدينة، امر يبد فيه المبالغة والغرابة، ويدل على الاستهانة، وان المصادر الإسلامية التي اطلعنا عليها لم تشر إلى فشل الهجوم على قورية.

بعد فشل الهجوم على قورية، قرر الإمبراطور شن حملة على قرطبة وإشبيلية، وجاءت تفاصيلها في المدونة (Ch, p. 145) (Sandoval, pp. 227 – 228): " في العام نفسه، اي في (**٥٣٨ هـ/١١٤٣م**)، حشد الإمبراطور قوات كبيرة من الفرسان والرماة والمشاة، وعسكر في طليطلة قرب نهر التاجة، واستدعى القائدان مونيو الفونسو حاكم طليطلة، ومارتن فرناندیز حاكم فتة، وأرسلهم على رأس حملة أخرى لتحول دون قيام المرابطين بتحصين مورة، وأمرهم أن يتخذوا مقرا في بنيا نيجرا (صخرة كريستيانا)، ثم زحف الإمبراطور على رأس جيشه إلى الأراضي المحيطة بقرطبة، وكان وقت حصاد، فاشعلوا النار في الحقول، وخربوا الأراضي المحيطة بقرطبة، وقرمونة، وإشبيلية، وانزلوا القتل في المسلمين، واخذوا كثير من الأسرى والغنائم ". لم تشر المصادر الإسلامية إلى هذه الحملة.

إنَّ القراءة المعمقة للنص تبين كثرة استخدام مفردات، قام بالقتل والأسر والتخريب، وعاثوا خراباً حيثما حلوا فتوح لنا بالاستهانة بالمسلمين، وكأنهم أسرى غير قادرين على الدفاع عن انفسهم، ويبدو لنا

أنها حرب اقتصادية، لإخضاع المسلمين، وإجبارهم على الاستسلام، بعدما عجزوا عن السيطرة على المدن بالقوة، لقوة تحصيناتها، وبتالي تخريب وتدمير مصادر أرزاقهم. (حسين، ٢٠٢١، صفحة ٢٠١).

المبحث الرابع: تعيين ابن غانية (ت٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) واليا على الأندلس لمواجهة الحملات العسكرية القشتالية.

أثارت هزيمة المرابطين في الحملة التي شنها الإمبراطور على قرطبة وإشبيلية حزنا وجزعا شديدين في قلوب المسلمين، فقام الأمير تاشفين بتعيين يحيى بن غانية[1] (خلدون، (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦م)، صفحة ٦/ ١٩٠) (المراكشي، (١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٦م)، صفحة ١٥٢) واليا على الأندلس سنة (**٥٣٨هـ/١١٤٣م**)، وأعطاه أموال، وكمية كبيرة من الذهب والفضة، لينفقها في تجهيز الجيش، والإعداد لحملة على الأراضي القشتالية، وأن يأخذ بالثأر للمسلمين، الذين استشهدوا (اشباخ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، صفحة ١٩٣) (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، صفحة ٤/ ٣٤٥) (Sandoval, p. 227) (Ch, pp. 144 – 145).

فاصبح مونيو الفونسو حاكم طليطلة هدفاً للمسلمين، وجاء هذا الشعور من رغبة قوية في الانتقام منه، وإعداد فخ له (Recuero, 1997). ويعتقد أنَّ هذه الرغبة كانت رغبة والي الأندلس الجديد، إذ في الوقت الذي يصعب فيه الوصول إلى الإمبراطور، يكون ذلك اسهل إلى حاكم طليطلة، فاصبح هدفاً للمسلمين، للتخلص منه، فجاء في المدونة (محمد، ١٣٨٨هـ/١٩٦٦م، صفحة ٥٠٧) (Ch, pp. 145 – 149): بينما كان الإمبراطور في الجنوب، دبر فرج وفرسان الحدود، خطة للهجوم على أراضي طليطلة، فجمع قوات المرابطين، واعد كمينا لقتل مونيو الفونسو وجنوده، وقبل شروق شمس يوم (١٧محرم٥٣٨ هـ/ الأول من أغسطس سنة١١٤٣م)، غادر مونيو الفونسو قلعة بنيا نيجرا، مصطحباً معه أربعين فارساً، وترك رفيقه مارتن فرناندیز للدفاع عن القلعة، فذهب إلى الجبال المحيط بقلعة رباح لاستطلاع أحوال المرابطين في تلك المنطقة، وأسروا صبياً من المسلمين، وسأله مونيو عن قائده، ومن

---

[1] يحيى بن اسحاق ابن غانية المسوفي، قائد عسكري مرابطي ، عين واليا على الاندلس، بعد ضعف حكم المرابطين في المغرب والاندلس، عمل على تثبيت حكم المرابطين في الاندلس، شن حملات عدة على القشتاليين، لكن اضطربت اوضاع المرابطين بعد قيام الاندلسيين بثورات ضدهم، تمكن من القضاء على تلك الثورات، دخل في طاعة المرابطين بعد عبورهم الى الاندلس، توفي في غرناطة اواخر شهر شعبان من سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م.

أين هو، وما هدفه ؟ فأجاب الأسير انه محمد، خادم فرج قائد قلعة رباح، واستفسر منه عن تحركات فرج، فأجاب أنَّ قائده ليس بعيدا، وتحت قيادته ما يقرب الأربعة آلاف مقاتل، ومؤن لإمداد حصن مورة، وبينما كان الأسير يتحدث ظهرت طليعة الجيش المرابطي، وفي الحال اشتبك مونيو مع المرابطين في معركة، انتهت بهزيمة المسلمين وتراجعهم، وعاد مونيو الفونسو إلى بينا نيجرا، وخشى من قدوم فرج بجيش كبير والهجوم عليهم، وبعد التشاور رحل مونيو الفونسو من المعسكر، ومعه مارتن فرناندیز، وتحركت قواتهما لمواجهة المسلمين، وتقابل الطرفان، ونشبت معركة سقط عدد من القتلى والجرحى، ومن بين الجرحى مارتن فرناندیز، ثم انسحب الجيشان، فادرك مونيو الفونسو أنَّ الوقت ليس في صالحهم مطلقا، فقرر أن يبقى وجنوده لمحاربه المرابطين، وطلب من مارتن فرناندیز أن ينسحب بقواته إلى القلعة للدفاع عنها، فعاد إليها، وأثناء ذلك عاد المرابطون لمهاجمة مونيو الفونسو، فأدرك مونيو ورجاله صعوبة المقاومة في الميدان، فاعتلوا تل يسمى بنيا ديل كوربو (صخرة الوعل Pena del cuervo)، فهاجم رماة المرابطين، مونيو فجرح جرحا بليغا ثم مات، وسقط جنوده قتلى، كما استشهد اغلب جند المرابطين، وجاء فرج وقطع رأس مونيو الفونسو، و ذراعه الأيمن مع كتفه، ورجله اليمنى بالساق، وقطع رؤوس الفرسان القشتاليين، وارسل رأس مونيو إلى قرطبة، إلى منزل أرملة الزبير، ثم إلى إشبيلية، إلى منزل أرملة ابن سيتا، ثم أرسلت بعد ذلك إلى شمال أفريقيا إلى الأمير تاشفين، وذاع خبر مقتل مونيو الفونسو، وقام أهل طليطلة باستعادة الجثث، ودفنوا في مقبرة كنيسة القديسة مريم في طليطلة، فساد الذعر والحزن المدينة عدة أيام. (حردان، ٢٠٢٤، صفحة ١٢٩)

وقد أشارت الحوليات الطليطلية الأولى بإيجاز إلى هذه المعركة، ونتائجها، ولكن اختلفت عنها في اسم القائد المرابطي، إذ ذكرت المدونة أنه فرج قائد قلعة رباح، بينما ذكرت الحوليات الطليطلية أنه علي بن الحاج، وأشارت إلى أنَّ المعركة وقعت في مورة (toledanos, 1767, p. 389). ونشير إلى أنَّ المصادر الإسلامية أغفلت عن هذه الموقعة، ولم تشر إليها رغم أهميتها.

لا يمكن القبول برواية التمثيل في الجثث، إذ إن هذا الفعل لا ينسجم مع الشريعة الإسلامية، زيادة على ذلك من غير الممكن الطواف بأشلاء نتنة من ساحة المعركة إلى قرطبة ثم إشبيلية، ثم إلى شمال أفريقية لاسيما في فصل الصيف ، علاوة على ذلك أنَّ الحوليات الطليطلية التي أكدت وقوع المعركة، لم تشر إلى ذلك.

ومن الجدير بالذكر أنَّ التصريحات البابوية المتعاقبة في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، أخذت تساوي بين محاربة المسلمين في الأندلس، وفي بيت المقدس، مما شجع بعض الصليبين المتجهين إلى الشرق إلى محاربة المسلمين في الأندلس الأكثر قرباً لديارهم، وطلب الإمبراطور الفونسو من رئيس أساقفة طليطلة، ورجال الكنيسة إسداء النصح لنبلاء قشتالة وجليقية، ومنح الغفران عن الذنوب إلى الذين يحاربون المسلمين على الحدود الجنوبية لقشتالة (http://www.devemilitari :) (Simon, (2000), pp. 28 – 48) (Ch, pp. 149 – 150).

وفي ربيع الأول سنة (٥٣٩هـ/سبتمبر ١١٤٤م) احتشدت القوات القشتالية، وخرج الإمبراطور على رأس الجيش، فعسكر قرب غرناطة، وارسل فرقاً قامت بغارات حول غرناطة و قرطبة وإشبيلية وقرمونة، واجتاحت الأراضي المحيطة بمدينة بياسة وابدة، ووصلت الغارات حتى جنوب المرية، فخربت الأندلس من المرية إلى قلعة رباح، ثم عاد الإمبراطور وجيشه إلى طليطلة يحملون الغنائم " (Ferreras, 1720, p. 324) (Ch, pp. 151 – 152).

وقد أشارت الحوليات الطليطلية الأولى بإيجاز إلى هذه الحملة (Annales toledanos Vol .23., p. 389) (Escalona, 1782, p. 109) . في حين لم تشر المصادر الإسلامية إليها، مما يجعلنا نأخذ بهذه الرواية مع شيء من التحفظ، وترتب على هذه الحملة زيادة سخط الأهالي على المرابطين، فذكر كاتب المدونة : " لما رأى قادة وأهل إسبانيا الإسلامية في الجنوب ازدياد المحن، واجتياح الإمبراطور أراضيهم سنويا وتخريبها، وعجزهم عن الدفاع عنهم، اجتمعوا لمناقشة الأمر في الميادين والمساجد، وادركوا انهم لا يمكنهم مقاومة الإمبراطور، فدعا بعضهم إلى محاربة المرابطين وطردهم من إسبانيا، ودعا آخرون إلى الثورة على المرابطين والدخول في طاعة الإمبراطور، مقابل ضريبة يدفعونها له، كما فعل أسلافهم، فارسلوا مبعوثين إلى سيف الدولة، وإلى حكام إسبانيا الإسلامية يطلبون منهم الحضور، وشن الحرب على المرابطين " (Ch, pp. 152 – 153). فاستغل أهل الأندلس هذه الفرصة، فثاروا على المرابطين، في الوقت الذي كان الصراع في الأندلس بين المرابطين والموحدين في أدواره الأولى، فاندلعت نيران الفتنة، وقضت على ما كان للمرابطين من سلطان في الأندلس، قبل أن يفرغ الموحدون من أمرهم في مراكش. (ابن، (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، صفحة ٢/ ١٩٨)، فكان عماد الحركة نفراً من الطامعين في السلطة، من القضاة و القادة، فكان عام (٥٣٩هـ/١١٤٤م) إيذاناً بالوثوب على المرابطين، فتوالت الثورات، حتى خرج أمر الأندلس من أيدي

المرابطين، فلا غرابة أن يسمي ابن الأبار (ابن الابار، (١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م)، صفحة ٢/ ١٩٨) السنة التي وقع فيها ذلك وهي سنة (**٥٣٩هـ/١١٤٤م**) بالسنة " القارضة لملك اللمتونيين ".

انتهز الإمبراطور فرصة الفوضى السياسية التي سادت الأندلس، فاستغل النزاع الذي وقع بين ابن حمدين() (لسان الدين بن الخطيب؛، (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، الصفحات ٢٥٢ – ٢٥٤) (علام، (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ، صفحة ١٥١) وابن غانية، واستنجاد ابن حمدين به على ابن غانية، فتحرك لنصرته ودخل قرطبة في ذي الحجة سنة (**٥٤٠هـ/مايو١١٤٦م**)، فاستباح المدينة (غالب، (١٣٧٤ هـ/١٩٥٥م)، صفحة ٢٩٩) (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، الصفحات ٤/ ٣٤٥ – ٣٤٦) (Antonio, 1944, p. 357)، وأكدت المصادر الإسبانية دخول الإمبراطور المدينة، في التاريخ الذي حددته المصادر الإسلامية (toledanos, 1767, p. 389) (Sandoval, p. 655)، وأثناء حصار الفونسو لابن غانية، عبر الموحدين إلى الأندلس، وظهور دعوتهم في إشبيلية، فقرر الإمبراطور أن يهادن ابن غانية، وينصبه سدا بينهم وبين بلاده، وفرض عليه ضريبة، فاستقر ابن غانية بقرطبة (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، صفحة ٢٥٤). ثم استولى الإمبراطور في طريق عودته إلى طليطلة على قلعة رباح في شعبان (**٥٤١ هـ/١١٤٧م**) . (Hosta, Jose de (toledanos, (primera, p. 650) cronica de al provincial de ciudad real , p. 21) (Ferreras, 1720, p. 332) 1767, p. 389) [٨٧]. وفي ربيع الأول سنة (**٥٤٢هـ/١١٤٧م**) زحف الفونسو إلى الأندلس، وضيق على ابن غانية في طلب الإتاوة، ونزل حصن اندوجر، وحاصر بياسة، وطالبه بالتخلي عن بياسة وابدة، فأجابه ابن غانية (Bishk, 1975, p. 409) . وفي العام نفسه أي في جمادي الأولى (**٥٤٢ هـ/** اكتوبر **١١٤٧م**) اشتركت القوات القشتالية مع جيوش برشلونة ونبرة وجنوة وبيزا في غزو ثغر المرية (Ch, pp. 202 – 203). ثم عاد الإمبراطور في سنة (**٥٤٣**

() ابو جعفر حمدين بن محمد بن احمد التغلبي ، ولي القضاء بقرطبة عام ٥٢٩ هـ ، عزله الامير علي بن يوسف سنة ٥٣٢ هـ ، فلما ثاراهل قرطبة اضطر ابن حمدين الى الخروج للناس وتسكين الثورة ، فعين ابن حمدين بناء على اختيار اهل قرطبة له للمرة الثانية قاضيا سنة ٥٣٦هـ، فاستقام له الامر ودون الدواوين ، وجند الاجناد . وصار يشغل هذا المنصب حتى قيام الثورة في اواخر عام ٥٣٩ هـ . ثم دبر حساده مكيدة له، فكتبوا الى يحيى بن غانية ، وهو بأشبيلية ، فتحرك اليهم في جمادى الاخيرة عام ٥٤٠ ، وبرز ابن حمدين للقائه ؛ فالتقيا بالقرب من أستجة ، فهزم ابن حمدين ، وفر الى بطليوس ، ثم لحق بحصن اندوجر المجاور لقرطبة ، وتحرك ابن غانية اليه ، وحاصره ، فاستنجد ابن حمدين بألفونسو الامبرطور ، فدخل الفونسو قرطبة في ذي الحجة عام ٥٤٠ هـ ، واعتصم ابن غانية بالمدينة ، وانصرف ابن حمدين في ظل صاحب قشتالة ، ثم توفي بمالقة في رجب ٥٤٦ هـ ، حمل اسم ابن حمدين اكثر من واحد من تلك الاسرة التي توارثت القضاء.

هـ/١١٤٨م) وطالب ابن غانية بالخروج من جيان وتسليمها إليه، فأتصل ابن غانية بالموحدين سرا في إشبيلية، ودخل في طاعتهم، وسلمهم مدينتي قرطبة وقرمونة، ثم ذهب إلى غرناطة ومات بها في أواخر شعبان سنة **(٥٤٣ هـ/١١٤٨م)** (لسان الدين بن الخطيب؛، ١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٣م، الصفحات ٤/ ٣٤٦ – ٣٤٧) (toledanos, 1767, p. 389). (Ferreras, 1720, pp. 336 – 337)

شكلت طليطلة محور الصراع العربي الإسلامي ــ النصراني ، لأهميتها الاستراتيجية للمسلمين والنصارى على حد سواء ، فبذل المسلمون دماء كثيرة في سبيل استعادتها، فبقاء طليطلة بأيدي النصارى يشكل خطراً على الوجود العربي الإسلامي في الأندلس، فهي قلب الأندلس، وقاعدة الثغر الأوسط ، كما كان لها أهمية اكبر للنصارى لما تحمله، من تاريخ ديني وسياسي وحضاري وجغرافي، زيادة على ذلك هي مركز تجمع الحملات لاسترداد الأراضي الأندلسية.

الخاتمة

١.يميل كاتب المدونة إلى المبالغة في إعداد القوات الإسلامية، في الوقت الذي يتعذر فيه قدرة المرابطين على حشد هكذا أعداد، نظرا للظروف التي كان يمر بها المرابطين في المغرب والأندلس على حد سواء.

٢.دقة المصادر الإسلامية في رواية الأحداث، وتحديد تواريخها.

٣.فشل المرابطون في استعادة طليطلة، على الرغم من سيطرتهم على الكثير من الحصون والقصبات التابعة لها؛ وذلك بسبب حصانة المدينة، ومنعة موقعها الجغرافي، وإحاطة نهر التاجة بها.

٤.تبين أنَّ احتفاظ المرابطين في القصبات والحصون والأراضي المحيطة بطليطلة التي سيطروا عليها كان لمدة قصيرة.

٥.كانت أغلب الحملات القشتالية في مواسم الحصاد، بهدف تخريب المزارع والممتلكات ونهبها، فكانت حربا عسكرية اقتصادية.

٦.إن استخدام مفردتي المسلمين الإسبان من قبل كاتب المدونة للتمييز بينهم وبين العرب المسلمين الذين استوطنوا الأندلس، وهي من أساليب المؤرخين النصارى لبث بذور التفرقة بين عباد الله الذين جمعهم الدين الإسلام بغض النضر عن قوميتهم وجنسهم .

المراجع

Annales toledanos Vol .23. (n.d.). *l ,ll ''ed. Enrique florez'' Espana sagrada.* Madrid.

Antonio, B. B. (1944). *historia de Espanay sulnfluencia en la historia universal . t . ll , segun da edicion.* Barcelon – Buenos Aires .

Barton : Simon, ". f., & 2000), T. n. (n.d.).

Bishk, c. J. (1975). *the spanish and portuguese reconqest.* press: university of wisconsin.

Ch. (n.d.). *A . E book 11.*

Escalona, R. (1782). *historia del monasterio de sahagun .* Madrid.

Ferreras. (1720). *Don Juan ,historia da Espana .* Madrid : parte quin Madrid .

francisco. (1681). *de chronica de los principes de asturiasy Cantabria .* Madrid .

Francisco, C. :. (1899). *Decadenciay desaparicion de los Almoravides en Espaha .* Zaragoza .

Hosta. (n.d.). *Jose de . cronica de al provincial de ciudad real .*

Hosta. (n.d.). *Jose de . cronica de al provincial de ciudad real .*

http://www.devemilitari :. (n.d.). Retrieved from org , resources , articles , bartonl . htm .

primera. (n.d.). *cronia general de Espana , 11 .*

Recuero. (1997). *Recuero : astray , manuel , Extremum al frontera , edicios do castro narrative , acoruna capnitulo V111.* ; Martin tardio , Juan Jesus ,los senorios de mocejon (Toledo) .

sabio, A. e. (1955). *primera cronica a Ganeral de espana* (Vol. . Vol. ll). .madrid: Edited by ramion menendez pedal.

Sabio, A. l. (1955). *primera cronica General de Espana , publicado por :Ramon menedez pidal.* Madrid.

Sandova. (1792). *Historia de los reyes de castillay de leon.* (D. u. prudencio de, Ed.) Madrid, Espanas: hija de don Alonso sexton don Alonso septimo.

Sandoval. (n.d.). *historia de los reyes de castlla.* tomo . 11 .

Simon, B. ((2000)). *" from tyants to soldiers of Christ ; The nobility of twelfth –centuryleon –castile and the struggle against Islam " Nottingham medieval studies v . 44 .*

toledanos, A. (1767). *l ,ll ''ed. Enrique florez'' Espana sagrada.* Madrid: Vol .23. Madrid.

Valencia. (1970).

ابن الابار : محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (ت٦٥٨ ه) ، ((١٤٠٥ ه/ ١٩٨٥م)). *الحلة السيراء* (المجلد ٢). (تح : حسين مؤنس، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

ابن العباس، ابن عذاري احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ ه). (١٩٨٣م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (المجلد ٣). (إحسان عباس، المحرر) بيروت.

ابن عذاري احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ ه) ابن العباس. (١٩٨٣م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب* (المجلد ٣). (إحسان عباس، المحرر) بيروت.

ابو الحسن بن محمد (ت ٦٢٨ه) ابن القطان. (١٩٩٠م). *نظم الجمانلترتيب ما سلف من اخبار الزمان*. (محمود علي مكي، المترجمون) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابو الحسن علي (ت٧٢٦ ه) ابن ابي زرع ت). (بلا تاريخ). *الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. (تح: كارل بو حسن، المحرر) القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

ابو الحسن علي (ت٧٢٦ ه) ابن ابي زرع. (د . ت). *الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس* ،. (تح: كارل بو حسن، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابو الحسن علي (ت٧٢٦ ه) ابن ابي زرع. (د . ت). *الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*. (تح: كارل بو حسن، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

ابو الحسن علي بن محمد (ت٦٢٨ه). (١٩٩٠م). *نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان*. (محمود علي مكي، المحرر) بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ابو الحسن، علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠ه)؛. (١٤٢٤ ه/ ٢٠٠٣). *الكامل في التاريخ* (المجلد ٤). (تح: عمر عبدالسلام، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

ابو العباس شهاب الدين احمد الناصري السيلاوي. ((١٣٩٩ ه/ ١٩٧٩م)). *الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى*. (اعتنى به : محمد عثمان، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

ابو مروان عبد الملك (٦/١٢م) ابن الكربوس. (١٩٧١م). *تاريخ الاندلس*. (احمد مختار العبادي، المحرر) مدريد: معهد الدراسات الاسلامية بمدريد.

احمد بن محمد (كان حيا عام ٧١٢ ه) ابو العباس ابن عذاري. (١٩٨٣ م). *البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب* (المجلد ط٣). (تح : احسان عباس، المحرر) بيروت.

بو القاسم محمد بن ابي العلاء(ت٧١٣ه) ابن سماك. ((١٤٢٠ه/٢٠١٠م)). *الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية*. (تح: عبدالقادر بو باية، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

حسين مؤنس ، مجلد : ١ العدد :٣ (، (١٩٥٥). الانتقال من المرابطين الى الموحدين (٥٢٠ ـ ٥٤٠ ه/ ١١٢٦ ـ ١١٤٦ م).٣ .

حسين مؤنس. (١٩٥٥). الانتقال من المرابطين الى الموحدين (٥٢٠ ـ ٥٤٠ ه/ ١١٢٦ ـ ١١٤٦ م). (١، المحرر) *مجلة المعهد المصري للدراسات في مدريد*.

خير الدين بن محمود بن محمد خير الزركلي. ((١٤٠٠ ه/ ١٩٨٠ م)). *الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين* (المجلد ٥). بيروت: دار العلم للملايين.

سحر السيد عبدالعزيز سالم. (د .ت). *تاريخ بطليوس الاسلامية وغرب الاندلس في العصر الاسلامي*. الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة .

شمس الدين محمد بن احمد (٧٤٨ه) الذهبي. ((١٤٠٥ه/١٩٨٥م)). *سير اعلام النبلاء*. (تح : محمد نعيم العرقسوسي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

شمس الدين محمد بن احمد (٧٤٨ه) الذهبي. ((١٤٠٥ه/١٩٨٥م)،). *سير اعلام النبلاء*. (تح : محمد نعيم العرقسوسي، المحرر) بيروت: مؤسسة الرسالة.

عبدالرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ ه) ابن خلدون. ((١٤٢٦ ه/ ٢٠٠٦م)). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر* (المجلد ٣). بيروت، دار الكتب العلمية: تح : خليل شحادة.

عبدالله علي علام. ((١٣٩٠ه/ ١٩٧٠م)). *الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبدالمؤمن بن علي*. مصر: دار المعارف.

عبدالله عنان محمد. (١٣٨٨ه/١٩٦٦م). *دولة الاسلام في الاندلس* (المجلد ٣). القاهرة: مؤسسة الخانجي.

علي بن ابي الكرم (ت٦٣٠ه)ابو الحسن. (١٤٢٤ ه/ ٢٠٠٣). *الكامل في التاريخ* (المجلد ٤). (تح: عمر عبدالسلام، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.

كامل عبدالقادر حسين. (٢٠٢١). الاقتصاد الأخضر من منظور الفكر الاسلامي. (١٦، المحرر) *جلة جامعة كركوك للدراسات الإسلامية*.

لسان الدين ابن الخطيب. ((١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م)). *اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام*. (تح: ليفي بروفنسال، المحرر) القاهرة، مكتبة الثقافة الاسلامية .

لسان الدين ابن الخطيب. (١٣٩٣ ه/ ١٩٧٣م). *الاحاطة* (المجلد ط٢). القاهرة.

لسان الدين ابن الخطيب. (١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م). *اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام*. (تح: ليفي بروفنسال، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الاسلامية.

لسان الدين بن الخطيب؛. ((١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م)). *اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام*. (تح: ليفي بروفنسال، المحرر) القاهرة، مكتبة الثقافة الاسلامية .

لسان الدين بن الخطيب؛. (١٣٩٣ ه/ ١٩٧٣م). *الاحاطة* (المجلد ط٢). القاهرة.

لسان الدين بن الخطيب؛. (١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م). *اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من كلام*. (تح: ليفي بروفنسال، المحرر) القاهرة: مكتبة الثقافة الاسلامية.

محمد بن ايوب الغرناطي (ت ٥٧١ه) ابن غالب. ((١٣٧٤ ه/١٩٥٥م)). *قطعة من كتاب (فرحة الانفس في تاريخ الاندلس) نص اندلسي جديد* . القاهرة، مطبعة مصر : تح : لطفي عبد البديع .

محمد محمود النشار. (١٩٩٥ م). *تأسيس مملكة البرتغال* . القاهرة: دار المعارف.

محمد نصيف حردان. (٢٠٢٤). الشعائر الرمضانية في المغرب الاسلامي. (١٩، المحرر) *مجلة كركوك للدراسات الإنسانية*.

محمد نصيفحردان). (٢٠٢١). الشعائر الرمضانية في المغرب الاسلامي. (لمجلد: ١٩، المحرر) *مجلة كركوك للدراسات الإنسانية*.

محيي الدين عبدالواحد (ت٦٤٧ه) المراكشي. ((١٤٢٦ ه/ ٢٠٠٦م)). *المعجب في تلخيص اخبار المغرب من لدن فتح الاندلس الى اخر عصر الموحدين*. (تح : صلاح الدين الهواري، المحرر) بيروت، المكتبة العصرية.

يوسف اشباخ. (١٤١٧ه/١٩٩٦م). *تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين* (المجلد ٣). القاهرة، محمد عبدالله عنان: مكتبة الخانجي.